القرآن والمسيحية

٣/٢٣٩
٢٣

للدكتور مصطفى شلبي
أستاذ بالتعليم

نقلا عن مجلة الهلال فى عدد ديسمبر سنه ١٩٧٠

٥٢٢٣
للصوت وعقائد
مكتبة
دير السيدة العذراء (السريان)

فكرة القرآن عموماً عن المسيحية

تعرض القرآن المسيحية.

شرح كيف أنها ديانة سماوية، ديانة الهية، أرسلها الله هدى للناس ورحمة، على يد المسيح بن مريم.

والمؤمنون بالمسيحية سجل القرآن أن لهم أجرهم عند ربهم، وأنهم غير المشركين، وغير الذين كفروا.. وقال أيضاً انهم أقرب الناس مودة الى المسلمين، وانهم متواضعون لايستكبرون.

وشخص المسيح له فى القرآن مركز كبير. انه كلمة الله، روح منه. ولد بطريقة عجيبه لم يولد بها انسان من قبل ولا من بعد، بدون أب جسدى، ومن أم عذراء طهور لم يمسها بشر ومات ورفع الى السماء بطريقة عجيبه حار فيها المفسرون والعلماء.

وقد بحثت موضوعنا واسما كذا، كتبت فيه مجلدات عديدة ولم توفه حقه بعد، لست استطيع الى ادعى بأنى سألم بأطرافه المترامية فى صفحات قليلة كهذه.

وانما سأعرض لبعض النقاط المحدودة، والتى عليها ضوءاً بسيطاً، نراها من خلاله.

وتترك التفاصيل لبحوث خاصة.

وعاش على الارض يهدى الناس ، ويقوم بمعجزات لم يعملها أحد مثله ..

وقد هدى الناس عن طريق تبشيرهم بالانجيل . والانجيل له مكانة عظيمة فى القرآن الذى كان مصدقا له وداعيا الناس الى الايمان به ... ولم يذكر فى القرآن اطلاقا أنه نسخ التوراة أو الانجيل ، بل على العكس ذكر أن المؤمنين ليسوا على شىء حتى يقيموا التوراة والانجيل .

والعذراء مريم أم المسيح مركز ممتاز فى القرآن ، فى بتوليتها وطهرها ونسكها وعبادتها وتشريف الله لها واصطفائها على نساء العالمين

وقد تحدث القرآن أيضا عن الحواريين تلاميذ المسيح . وتحدث عن بعض العقائد المسيحية ...

وهنا يظهر بعض الخلاف بينه وبين المسيحية

شىء من ذلك خلاف حقيقى .

وشىء آخر لايمكن أن نسميه خلافاً . وانما هو محاربة لبعض البدع الدينية التى كانت سائدة وقتذاك ، والتى تحاربها المسيحية أيضاً ، والتى لم تكن فى يوم من الايام من عقائد المسيحية كما

يخطىء البعض فى الفهم والتفسير . وما أكثر المثل والنحل التى تقوم فى كل جيل ، يحارب اخطاءها أولياء الله الصالحون

وسنعرض لكل هذا بالتفصيل

نظرة القرآن الى النصارى

يدعوهم القرآن « أهل الكتاب » أو « الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » أو « الذين أتيناهم الكتاب » أو « النصارى » . ويصفهم القرآن بالايمان وعبادة الله . وعمل الخير .

ويقول فى ذلك « من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الكتاب أناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويسرعون فى الخيرات ، وأولئك من الصالحين » (سورة آل عمران ١١٣)

ويقول أيضا « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته . أولئك يؤمنون به » (سورة البقرة ١٢١) . ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله » (سورة النساء ١٣١) . « الذين آتيناهم الكتاب من قبله ، هم به يؤمنون » (سورة القصص ٥٢) .

هم اذن من المؤمنين ، يعبدون الله ، ويسجدون لله وهم يتلون آيات الكتاب طوال الليل . يؤمنون بالله وبالكتاب وباليوم الآخر ، وهم من الصالحين .

[redacted] أمر القرآن بمجادلتهم بالتي هي أحسن

وفي ذلك يقول « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن، الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وأنزل اليكم . والهنا والهكم واحد ، ونحن له مسلمون) (سورة العنكبوت : ٤٦) .

ولم يقتصر القرآن على الأمر بحسن مجادلة أهل الكتاب ، بل أكثر من هذا : وضع القرآن النصارى في مركز الافتاء في الدين فقال : (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك، فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) (سورة يونس : ٩٤). وقال أيضا : (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي اليهم ، فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) (سورة الانبياء : ٧).

ووصف القرآن النصارى بأنهم ذو رأفة ورحمة :

وقال في ذلك (وقفينا بعيسى بن مريم ، وآتيناه الانجيل . وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة) (سورة الحديد:٢٧)

واعتبرهم القرآن أقرب الناس مودة للمسلمين :

وسجل ذلك في سورة المائدة حيث يقول (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى . ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لايستكبرون) (سورة المائدة ٨٢) .

ونلاحظ في هذه الآية القرآنية تمييز النصارى عن الذين اشركوا . لانها هنا تذكر ثلاث طوائف واجهها المسلمون، وهي اليهود والذين اشركوا في ناحية ، والنصارى في ناحية أخرى. فلو كان النصارى من المشركين ، لما صح هذا الفصل والتمييز .

ان التمييز والفصل بين النصارى والمشركين أمر واضح جدا في القرآن ولا يقتصر على النص السابق ، وانما ستورد هنا أمثلة أخرى ، منها قوله (ان الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والصابئين ، والنصارى ، والمجوس . والذين اشركوا . ان الله يفصل بينهم يوم القيامة . ان الله على كل شيء شهيد) (سورة الحج : ١٧) . نفس هذا التمييز نجده في الآية ١٨٦ من سورة آل عمران ، ونجده واضحا (في قوانين التزوج المشترك) وفي قوانين الجزية . ولا يتسع المجال في هذه المجالة لبحث مثل هذا الموضوع الواسع . على انني سأعود الى التكلم فيه في نهاية هذا المقال . اما الآن فيكفي في نظرة القرآن الى ايمان النصارى أن نورد قوله (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (سورة البقرة: ٦٢ ، وسورة المائدة : ٦٩).

أما الآن فنتكلم عن نقطة أخرى في موضعنا وهي الانجيل .

نظرة القرآن الى الانجيـــل

يرى القرآن ان الانجيل كتاب مقدس سماوي منزل من الله يجب قراءته على المسيحي والمسلم وكل من آمن بالله .

فيقول (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه . وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس) (سورة آل عمران: ٣ ر ٤).

ويقول أيضا (وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين . وليحكم أهل الانجيل بما انزل الله فيه ، ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون. وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه) (سورة المائدة : ٤٦ - ٤٨)

وكون القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب ، فهذا يعني صحة الانجيل والتوراة وسلامتهما من التحريف . وإلا فانه يستحيل على المسلم أن يؤمن بأن القرآن نزل مصدقا لكتاب محرف . كذلك لو كان التوراة والانجيل قد لحقهما التحريف، ما كان يأمر قائلا (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه . ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون) . بل ما كان يصدر أيضا ذلك الامر (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) (سورة المائدة : ٦٨) .

وما أكثر الآيات القرآنية التي تسجل ان القرآن نزل مصدقا لما بين يديه من الكتاب، يطول بنا الوقت أن حاولنا أن نحصيها ..

وما أكثر الآيات القرآنية التي تدعو الى الايمان بالانجيل والتوراة، نذكر منها غير سبق (يا أيها الذين آمنوا ، آمنوا بالله ورسوله ، والكتاب الذي نزل على رسوله، والكتاب الذي انزل من قبل . ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فقد ضل ضلالا بعيداً) (سورة النساء . ١٣٦) .

ونلاحظ في هذا النص أنه قال (كتبه) ولم يقل (كتابه). فيجب الايمان بجميع الكتب الالهية التي أرسلها هدى ونوراً وموعظة للمتقين ...

وقد ورد في سورة البقرة عن أهمية هذا الايمان (والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) (البقرة : ٤، ٥) (قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون) (البقـــرة ١٣٦) آل عمران : ٨٤) . (لستم على شيء حتى تقيموا التـــوراة والانجيـــل وما أنزل اليكم من ربكم) (سوره المائدة : ٦٨)

اقتصر الآن على هذا القدر القليل وقبل أن اترك هذه النقطة أقول . أن كل ما سبق يفنى بأسلوب قاطع الفكرة الخاطئة التى ظنها البعض وهى ان القرآن نسخ التوراة والانجيل!! من المحال ان يكون ناسخا لهما وفى نفس الوقت يدعو إلى الايمان بهما ويحذر من أهمال ذلك .

ملاحظة أخيرة أنبه اليها القراء . وهى أن القرآن - فى كل سوره وآياته - عندما يذكر الانجيل ، انما يعنى الانجيل الذى بشر به المسيح.

ولم يرد فى القرآن حرف واحد عن ذلك المؤلف المزيف الذى اسماه كاتبه (انجيل برنابا). ان اسم برنابا هذا غير موجود على الاطلاق فى القرآن. كما ان كثير من تعاليمه ومعلوماته منافية ومناقضة لتعاليم القرآن .

فكرة القرآن عن المسيح

يسميه القرآن « عيسى». وهذا الاسم يقرب من الكلمة اليونانية (أيسوس) « Iycouc » . أما اسم المسيح فى العبرية فهو يسوع ومعناه خلاص . على أن القرآن ذكر اسم المسيح أكثر من عشر مرات

أنظر : آل عمران ٤٥ ، والنساء ١٥٧ ، ١٧١ ، ١٧٢ . والمائدة ١٧ (مرتين)، ٧٢ (مرتين)، ٧٥ . والتوبة ٣٠ ، ٣١. وسنحاول أن نورد بعض هذه الامثلة خلال حديثنا .

واسم « المسيح هذا كان موضع دراسة لكبار المفسرين فى الاسلام. وقيل فى ذلك أنه سمى مسيحاً «لانه مسح من الاوزار والاثام ». وأورد الامام الفخر الرازى حديثاً شريفاً قال فيه راويه «سمعت رسول الله يقول: ما من مولود من آدم الا ونخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من نخسه اياه ، الا مريم وابنها).

كل هذا ، وما سيأتى ، يدل على المركز الرفيع الذى تمتع به المسيح فى القرآن وفى كتب المفسرين ، وهو مركز تميز به عن سائر البشر . ومن ذلك

أ - انه دعى كلمة الله وروح منه :

وقد تكرر هذا اللقب ، فورد فى سورة آل عمران (٤٥) : « اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين» . وورد فى سورة النساء (١٧١) : « انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه » .

وقد أثارت عبارة « كلمة الله » تعليقات لاهوتية كثيرة لا داعي للخوض فيها الآن ، وبخاصة لان تسمية المسيح بكلمة الله يطابق الآية الاولى من الانجيل ليوحنا الرسول . وكذلك لان عبارة (الكلمة) واصلها فى اليونانية (اللوجوس) ، لها فى الفلسفة وفى علوم اللاهوت معان معينة غير معناها فى القاموس. وبنفس الوضع عبارة (روح منه) التى حار فى معناها كبار الائمة والمفسرين . وأيا كانت النتيجة فان هذين اللقبين يدلان على مركز رفيع للمسيح فى القرآن لم يتمتع به غيره .

ب - ولادته المعجزية من عـــذراء :

لم يقتصر الامر على كنه المسيح أو طبيعته من حيث هو (كلمة الله وروح منه ألقاها الى مريم) ولهذا ما لم يوصف به احد من البشر ، وانما الطريقة التى ولد بها والتى شرحها القرآن فى سورة مريم كانت طريقة عجيبة معجزية لم يولد بها أحد غيره من امرأة . زادهـــا غرابة انه (يكلم الناس فى المهـــد) (آل عمران ٤٦) ، الامر الذى لم يحدث لاحد من قبل ولا من بعد .. أترك هذا العجب لتأمل القارىء لتسبح فيه روحه . وأنتقل الى نقطة أخرى وهى :

جـ - معجزات المسيح العجيبه :

وأخص منها بما ورد فى القرآن - غير ابراء الاكمه والابرص وأحياء الموتى - معجزتين فوق طاقة البشر جميعاً ، لم يقم بمثلها أحد من الانبياء وهما المقدرة على الخلق، وعلى معرفة الغيب. وفى ذلك يقول القرآن على لسان المسيح (انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطـــير ، فأنفخ فيه فيكون طـــيراً بأذن الله ... وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين (سورة آل عمران ٤٩).

هنا ويقف العقل ، لكى تتأمل الروح .. لماذا يختص المسيح بهذه المعجزات التى لم يعملها أحد ، والتى هى من عمل الله ذاته : الخلق ومعرفة الغيب !

ومن الامور الاخرى التى يذكرها القرآن فى رفعة المسيح وعلوه هى :

د - موته ورفعه إلى السماء:

وقد ورد فى ذلك « واذ قال الله يا عيسى انى متوفيـــك . ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة » (سورة آل عمران ٥٥). والمسيحية تؤمن بموت المسيح وصعوده الى السماء . ولكن القرآن لم يبين كيف رفـــع المسيح ومتى حدث ذلك ، وبقى الامر عجباً ..

هـ ـ صفات المسيح الاخرى :

من الصفات التى ذكرها القرآن عن المسيح أنه (وجيهاً فى الدنيا والآخرة) وقد شرح أئمة المفسرين معنى هذا الوصف باستفاضة ، وخرجوا منه بعلو مركز المسيح علوا عجيباً ، وبأنه فى الآخرة تكون له شفاعة فى الناس .

مركز العذراء مريم فى القرآن

يشرح القرآن فى سورة آل عمران ان مريم نذرت للرب وهى فى بطن أمها (فتقبلها ربها بقبول حسن ، وأنبتها نباتاً حسناً) . وأنها تربت فى الهيكل تحت رعاية زكريا . وأنها كانت تطعم طعاماً من السماء (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا . قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله)

وعلو مركز العذراء مريم يظهر فى قول القرآن عنها (واذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) . (آل عمران : ٤٢). وهكذا ارتفعت مريم فى نظر الاسلام فوق لنساء العالمين .

كانت عذراء عابدة تسجد وتركع مع الراكعين. وكانت تحيا فى وحدة وتأمل (انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ، فاتخذت من دونهم حجابا) (سورة مريم ١٥،١٦) . وقد (نذرت للرحمن صوما).. ويمكن الرجوع إلى سورة مريم وسورة آل عمران

وغيرهما لمن يريد ان يتوسع فى معرفة فضائل العذراء مريم وعلو مكانتها . كما يشرح ذلك القرآن ..

بعض خلافات غير حقيقيه

ان هناك بعض نقط خلاف موجودة فى القرآن يظنها البعض منسوبة إلى المسيحيين. والمسيحيون لايؤمنون بتلك البدع بل يحاربون اصحابها حيثما وجدوا . وهذه الخلافات تتركز فى الآيات القرآنية الآتية :

النقط الاولى : خاصة بالوهية العذراء :

وورد فى ذلك (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس : اتخذونى وأمى الهين من دون الله . قال سبحانك) (سورة المائدة : ١١٦) والمسيحية لم تقل فى يوم من الايام بألوهية العذراء مريم . بل ان مريم نفسها تقول فى الانجيل أنها (أمة الرب) فتأخذ وضعها كعبدة أمام الله .. فان كانت قد قامت بدعة تنادى بتأليه العذراء ، فان المسيحية تحاربها بكل قوة .

كذلك لايمكن أن تؤمن المسيحية اطلاقا بوجود الهين من دون الله حتى لوكان المسيح أحدهما.. فنحن نؤمن بالله واحد لا سواه . ولعل هذا الموضوع سنتعرض له عندما نعرض للنقطة الثالثة الخاصة بالشرك ...

وورد فى ذلك : (بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) (سورة الانعام : ١٠١).
وايضا (وانه تعالى جد ربنا ما اتخـــذ صاحبـة ولا ولداً) (سورة الجن : ٣)

ليس بين المسيحية والقرآن خلاف فى هذا الامر . فالمسيحية تقول أيضاً ان الله لم يتخذ صاحبة ، سبحانه . الله روح منزه عن الجسد واعماله . وبنوة المسيح لله هى بنـوة غير جسدية ، غير تناسلية . انها شىء روحى الهى يتسامى فوق هذا المستوى الجسدى .

فان ربطنا بين البدعتين الاولى والثانيـة : الاولى التى تدعى الوهية العذراء والثانية التى تدعى صاحبة لله، ادركنا سر البدعة الثالثة الخاصة بالشرك بالله

النقطة الثالثة : الخاصة بالشـرك بالله كما لوكان هنـاك ثالوث مكون من الله وصاحبة وابن انجبه الله من صاحبة . وهذا كفر مبين تنزه عنه المسيحية ، وليس ثالوث المسيحية من هذا النوع الوثنى كما ورد فى العبادات المصرية القديمة فى قصة الإله أوزوريس وايزيس والاله حورس . انوجدت بدعة من هذا

النوع يحاربها القرآن ، فالمسيحية تحاربها أيضـا ـ ولا يمكن ان تؤمن بمثل هـذا الـكفر ..

المسيحية لاتؤمن بالشرك بالله ، انما تؤمن بالتوحيد . ولا تؤمن بثلاثة آلهة انما تؤمن بالله واحد لاشريك له . والآيات الدالة على التوحيد فى التوراة والانجيـل لاتدخل تحت حصر . ان التوحيد أمر بديهى لا يتنافش فيه اثنين .

فان قال القرآن فى سورة النساء (١٧١) (ولا تقولوا ثلاثة .. انما الله اله واحد، سبحانه ان يكون له ولد) ، فان المسيحيـــة تقول مثل هذا ايضا . انها تنكر التعدد والشرك ، وتنكر ان يكون لله ولد من صاحبة بتناسل جسدى. وان قيل فى سورة المائدة ٧٣) (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة، وما من اله الا اله واحد) فان المسيحية تقول هذا ايضا ليس الله واحدا من ثلاثة آلهة، لانه لا يوجد سوى اله واحـد لا شريك الله . ان الاسـلام فى كل الآيات انما يحارب بدعا تحاربها المسيحية ايضا، وهى ليست من المسيحية فى شىء

اما ثالوث المسيحية فغير هذا كله تقول فيه (باسم الآب والابن والروح القدس، اله واحد آمين). فالله هو جوهر الهى أو ذات الهية، له عقل وله روح، والثلاثة واحد. كالنار لها ذات هى النار

وتتولد منها حرارة ويفيض منها نور . والنار بنورها وحرارتها شيء واحد . وكالانسان ذاته وعقله وروحه وكيان واحد . والبنوه في اللاهوت هي كبنوة الفكر من العقل . العقل يلد فكراً وليست له صاحبة

وأخـــيراً

فليس معنى كل ماقلناه أن القرآن والمسيحية شيء واحد . كلا فهناك خلافات جوهرية منها التثليث والتجسد والفداء ولاهوت المسيح وصلبه ومنها أسرار الكنيسة ومنها القرآن نفسه .. وأشياء أخرى كثيرة . ولكننا أحببنا في هذا المقال أن نتكلم عن نقط التلاق فقط ، لا عن نقط الخلاف ...

مكتبة
دير السيدة العذراء
بالسريان